بسم الله الرحمن الرحيم

الخميس 10/8/2012 22/رمضان/1433 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

الأربعون النووية

احفظ الله يحفظك (2)

عَن أَبِي العبَّاسِ عبْدِ الله بنِ عَبّاسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُما قالَ: **كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ:** ((يَا غُلاَمُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)).

[رواه التِّرمذيُّ، وقالَ:حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ].

وفي روايةِ غيرِ التِّرمذيِّ: ((احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)).

مطلوب منا أن نعرف الله، فكم من رجل لا يحفظ أوامر الله؛ لأنه لا يعرف الحلال والحرام في البيع والشراء والزواج والطلاق والمرافعات القضائية والأمور السياسية... يطبق أوامر الله عن جهل.

حتى تحفظ أوامر الله ونواهيه يجب أن تعرف ما هي أوامر الله ونواهيه؛ لذلك عليك أن تحضر مجلس علم على الأقل في كل أسبوع، فمجالس العلم تعلمك الحلال والحرام، وإلا فنحن نخشى عليك الوقوع في حرمات الله.

جاءني رجلٌ له من العمر ستون سنة، سألني متى يُمْسِكُ أحدُنا عن الطعام في رمضان؟ قلت له: عند مطلع أذان الفجر، قال: لو أنني استمررت في الطعام إلى نهاية الأذان هل يجوز؟ قلت له: لا يجوز فقال: لكنني طوال عمري أصوم بهذه الطريقة.

ما حكم من أكل بعد الفجر؟ يعتبر صومه باطل.

الأعجب من ذلك رجل له من العمر خمسون سنة، اقترب مني وسألني: إذا أصاب الرجل جنابة وأراد أن يتطهر ألا ينفع الغُسل أن يغتسل من السرة إلى أسفل القدمين؟ قلت: لا، بل عليه أن يبلغ الماء لكل جسده، قال: لكنني مراراً ما اغتسلت من السرة إلى الركبة.

إذا كان المسلم لا يعلم بكيفية الصوم والطهارة، فكيف يعلم أحكام البيع أو الشراء.

ألا تعجبون من أناس مستأجرين لعقارات يدفعون في كل شهر خمسمائة ليرة سورية، ولو أراد أصحابه استثماره لاستثمروه بخمسين ألف ليرة سورية.

هؤلاء ليسوا يهوداً أو نصارى أو عباد بقر، هؤلاء مسلمون لكنهم لا علم لهم بالحلال والحرام؛ لذلك تجدهم يتعدُّون حدود الله.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ –وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ– وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ**... ، [البخاري].

فسيدنا عمر لم يصبح عمراً لأنه ولد من أب وأم مسلمين بل هو متابع للعلم.

قررت يوماً أن أقدم خطبة تحمل عنوان محمد بن محمود أذكر فيها ثلاثين حادثة لرجل اسمه محمد ابن محمود يتعدى بها على حدود الله جهاراً نهاراً، فرجل يطلق زوجته ويطردها من البيت؛ مع أنه مأمور إذا طلقها أن لا يخرجها ويتركها لتقضي العدة بالبيت وبالمقابل لا يجوز لها شرعاً أن تخرج ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾، [الطلاق: ١].

((احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ أو أَمَامَكَ)).

تجد الله أمامك في الأزمات، والشدائد والكروب، في الضيق والعسر والشدة؛ لأنك جعلت الله فوق الجميع، فإذا أردت أن تعرف مكانتك عند الله فانظر إلى مكانة الله عندك، فإذا كان الله عندك هو الأول فاعلم أنك عند الله الأول، وإذا جعلت أوامر الله آخر ما تفكر به فالله سيؤخرك، قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

نسي لغة: ترك عامداً أو جاهلاً.

نسوا الله أي تركوا الله جاهلين فنسيهم جل جلاله بأمرٍ منه.

((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ)).

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، [غافر: ٦٠]، [الترمذي وأبو داود والإمام أحمد].

قال العلماء: معنى ﴿عِبَادَتِي﴾ أي دعائي.

عندما يسأل الإنسان رب العالمين، فهو يدل على معنى عقائدي باعتراف العبد بفقره لربه؛ لأن من عادة الفقير أن يكون هو السائل أما الغني فليس من عادته السؤال.

فأنت عندما تسأل رب العالمين فهو اعتراف منك بفقرك له وضعفك أمامه وقدرته وغناه؛ لأنك لا تسأل إنساناً لا يستطيع أن يلبّي حاجتك، وإنما تسأل من تعتقد أنه يلبي لك الحاجة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ))، [الترمذي].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾، [هود: ١١٣].

قال العلماء: **الركون: هو ميل القلب.**

ركن فلان إلى فلان أي مال إليه بقلبه واعتمد عليه في قضاء حوائجه.

قد يناصر أحدنا الظالم ويركن إليه من أجل تسيير بعض الأمور.

((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ))، اجعل اتكالك على الله.

لا تَسْأَلَنَّ بَنِي آدَمَ حَاجَةً ... وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لا تُحْجَبُ

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

سل الله تعالى فإن الله يحب أن تسأله.

كان النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله يعلموننا الإلحاح في الدعاء، حتى أن سيدنا يعقوب أضاع ابنه أربعين سنة، ثم قال لأولاده: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾، [يوسف: ٨٧].

درِّب نفسك بعد كل صلاة مكتوبة أن ترفع يديك لتسأل رب العالمين.

هناك أناس فنانون في سؤال الخَلْقِ، ومراجعة أبواب الناس لكنهم بعيدين جداً عن سؤال رب العالمين، والوقوف على بابه فتراه حتى في صلاته يسلِّم ويذهب مباشرة.

أحد أئمة المساجد كان صاحب نكتة خطب الجمعة مرة ولما انتهى من الصلاة، نادى الذين يصلون عند باب المسجد لينطلقوا مباشرة فقال لهم بعد التفاته بسرعة: توقفوا ولا يتحرك منكم أحد فخاف المصلين، فقال لهم: ألا تريدون شيئاً من الله؟ اجلسوا قليلاً واسألوا الله.

((وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ)).

هذا الحديث يسكب على المؤمن برداً وسلاماً.

((وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ)).

كل ما يحدث مكتوب ومقدر عليك فلا تُتْعِبْ قلبك ولا أعصابك؛ لأن الأقدار ستقع وقد ((رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)).

كل ما هو كائن سُجِّلَ في اللوح المحفوظ قبل أن تَلِدَ، ولكن لا نقول هذا إلا بعد وقوع القدر، لأنني لا أعرف ماذا سيحدث غداً فأفعل كل جهدي ليكون ما يحدث غداً شيئاً يفرح المؤمنين، فإذا وقع شيء يستاء منه المؤمنين نقول: ((رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))، ولا نقول لو أني فعلت أو فعلت، فلو اطلعت الغيب لاخترت الواقع، وليس أحب على المؤمنين من جريان أقدار الله.

أحد العرب كان عند واد من الإبل، -والإبل أنفس أموال العرب-، فأصابهم الجرب وهلك كثير منها، فجاء رجل ليعزيه فوجده جالساً في ضوء القمر يغزل شعراً يقول فيه:

لا والذي أنا عبد من خلائقه ... والمرء في الدهر نصف الهم والحزن

ما سرني أن إبلي في مباركها ... وما جرى من قضاء الله لم يكن

كان بعض الصالحين يناجي ربه فيقول: (**أنا راضٍ بما أنت ترضاه**).

فإن أراد الله عز وجل أن يأخذ ابنك، فأنت راض، إن أراد أن تفتقر فأنت راض.

قال عمر بن عبد العزيز: (**أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر، إن تكن السراء فعندي الشكر، وإن تكن الضراء فعندي الصبر**).

هذا الأمر يشجع المؤمن لينطلق نحو الحياة باذلاً جهده بعمل الخير ما استطاع إليه سبيلاً.

هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم انتشار الإسلام في الأرض في حياته؟

الجواب: لا.. النبي صلى الله عليه وسلم اجتهد أن ينتشر الإسلام في الأرض، لكن الإسلام وصل إلى مكة والمدينة وقريب من الشام عند تبوك، وفي زمن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم امتدت رقعة الإسلام.

فمطلوب منك أن تعمل، ثم أقدار الله تعمل فإذا رأيت ما يسرك فبها ونعمة فالمطلوب منك أن تبذل جهدك، ولك الأجر على الجهد، ولا تأس على ما حدث ولا على ما فات.

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ فَقَالَ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: ((اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ))** ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، [البخاري].

قال أحد الصالحين: (**الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين**).

يلاحظ أهل الرضا بأن اختيارهم للبلاء إنما هو بقضاء الله وقدره.

وتارة يلاحظون ثواب الرضا في القضاء فيُنسيهم ألم ما وقع فيهم.

وتارة يلاحظون عظمة المبتلي بجلاله وكماله فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعرون بالألم.

هذا الأمر لا يصل إليه إلا خواص أهل المعرفة والمحبة فتراهم يتلذذون بما أصابهم لملاحظتهم بأنه صادر عن حبيبهم فهو الذي أمر، وهو الذي نهى.

أهل المحبة إذا وقع أمر يشغلهم التفكر في من قدَّر القدر عن هذا القدر.

يقولون في هذه الأحداث التي تجري: تركنا الله نعيش في رخاء دهراً ثم اختبرنا فمنا من رُفع ومنا من نزل.

في الاختبار شدة وعسر، فمنا من كان في اليسر رفيعاً لكنه في العسر نزل، ومنا من كان في اليسر هابطاً لكنه في العسر ارتفع.

هناك شباب أقبلوا على الله إقبالاً شديداً على الرغم من بعدهم عن الله عز وجل.

هناك أناس يبيعون روحهم في نصرة الحق وأهله.

هناك آباء وأمهات يقولون: ابني الذي فقدته سأدعه بيني وبين الله عز وجل.

هناك أناس على الرغم من الضيق الذي يشعرونه إلا أنهم يشاطرون الناس طعامهم وشرابهم بطريقة عجيبة، بالرغم من أنه كان في اليسر شحيحاً بخيلاً إلا أنه في العسر صار سخياً معيناً لخلق الله تعالى.

قدر الله هو عين الحكمة فالمطلوب منك أن تنضبط بالشرع.

نحن أيها الأخوة ماضون إلى دار الآخرة والتي سنعيش فيها.

الدنيا كلها أكدار وأنا لا أعلم إنساناً خلى من الأكدار سواء كان نبياً أو رجلاً صالحاً أو إنساناً خيراً أو شريراً ولكم أن تقرؤوا في القرآن:

قصة سيدنا موسى مع فرعون وكيف أنه هرب وهاجر من بلده وديارة من فجور فرعون.

اقرؤوا عن سيدنا أيوب وكيف أصيب بأمراض لا يصاب بها إنسان.

اقرؤوا قصة سيدنا يوسف وكيف أراد إخوته قتله ثم سجن لسنين.

سيدنا إبراهيم ألقي في النار وهو أبو الأنبياء.

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يختبئ في غار ثور الذي لا يتسع إلا لشخصين، ويُخرج من مكة مهاجراً من دياره، ثم يقول: ((**عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**))، [الإمام أحمد].

سيدنا إسماعيل يتعرض للذبح.

سيدنا يونس يوضع في بطن الحوت...

هؤلاء هم أنبياء خيرة خلق الله تعالى، لكن الله تعالى هكذا يقضي ويقدر.

ولكن ماذا كانت العاقبة وما منزلة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيدنا إبراهيم وسيدنا نوح كانت لهم السعادة والرفعة.

لقد جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم مواساة لمن ابتلي في بلاء.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**فَإِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وِانَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**))، [أبو نعيم في الحلية، والخطيب، وابن النجار].

قال العلماء: لم يقل الله بعد العسر يسراً، ولم يقل رسول الله إن بعد الفرج كرباً، بل مع، أي أن الله عندما خلق العسر خلق معه اليسر، لكن الله يضع هذا قبل هذا، فهذا العسر الذي نحن به خُلِقَ فرجه معه.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: ((**سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ**))، [الترمذي].

عَنْ أَبِي رَزِينٍ العُقَيْلِيْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عَبْدِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ**))، **قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَيَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟! قَالَ:** ((**نَعَمْ**))، **قَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا**، [الإمام أحمد].

العبد من ضعفه وهوانه يقول أن الأمر لا يُفَرَّجُ فيضحك الرب منا؛ لأن الفرج ربما يكون قريباً إلا أن العبد لا يراه.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾، [الشورى: ٢٨].

يستعمل الطب علاجاً نادراً وهو العلاج باليأس فترى بعض الطبيبات النسائية تعالج مريضاتهن باليأس؛ لأنهن يتشوقن إلى ولادة مولود ومن كثرة هذا الاهتمام فإنهن يراجعن الطبيبة النسائية كل فترة لتسألها هل هي حبلى أو لا فهذا الترقُّبُ وطلب سرعة الحدوث يصيب المرأة باضطرابات هرمونية تمنع حدوث ما هو متوقع أن يحدث.

فبعض الطبيبات تستخدم العلاج باليأس، فتسكن المواد الهرمونية في جسمها، عندما تقول لها: إن موضوع حملك يحتاج إلى أشهر مديدة فلا تراجعين بعد الآن، فتتوقف هذه المرأة عن ترَقُّبِ الحمل، فتسكن الهرمونات في جسمها وتعود إلى وضعها الطبيعي فيكون في الشهر القادم الحمل.

يقول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾، [يوسف: ١١٠].

وكما يقال: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

نحن ندعو ونسترسل في الدعاء حتى إذا سكنَّا وقلنا: إن النصر لن يأتينا فعندها يقع قدر الله تعالى، لكن علينا أن نبقى منضبطين بأمر الله تعالى. ثم يخلق الله ما يشاء ويختار.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.